المنجي الأسود

القراءات
علماً من علوم القرآن

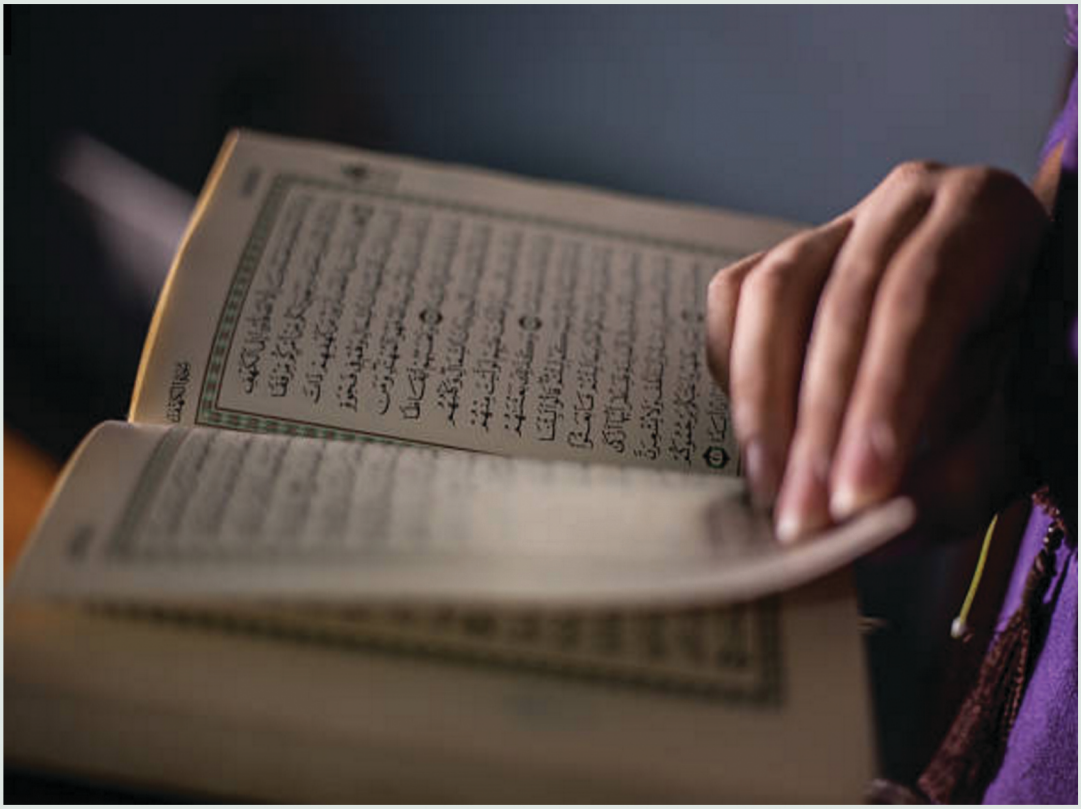

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

القراءات علماً من علوم القرآن
Al-Qirā'āt 'Ilman min 'Ulūm Al-Qurān

تأليف: المنجي الأسود
عدد الصفحات: 446
قياس الصفحة: 17X24 سم
تاريخ الطبعة: 2017م
رقم الطبعة: الأولى
التصنيف الموضوعي: 211
الترقيم الدولي: 978-614-8030-48-2

Author: Group of Authors
Pages: 446
Size: 17 X 24 cm
Edition Date: 2017
Edition No.: 1st
Subject Classification: 211
ISBN: 978-614-8030-48-2

الناشـــر
مؤمنون بلا حدود
للنشر والتوزيع

Publisher
Mominoun Without Borders
for Publishing & Distribution

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights resereved
Mominoun Without Borders Institution

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 212 537779954+
فاكس: 212 537778827+
Email: info@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 6306-113
هاتف: 961 1747422+
فاكس: 961 1747433+
Email: publishing@mominoun.com

Morocco, Rabat, Agdal
11 RUE GABES (CENTRE-VILLE)
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 212 522810406+
فاكس: 212 522810407+
Email: markazkitab@gmail.com

المحتوى

المقدّمة 9

الباب الأوّل: القراءات علماً من علوم القرآن - النشأة والتأصيل 23

الفصل الأوّل: قراءة في تحوّل القراءات علماً من علوم القرآن . 25

الفصل الثاني: قراءة في مصطلحات علم القراءات 57

الفصل الثّالث: المدوّنة المعتمدة في البحث 127

خاتمة الباب الأوّل 155

الباب الثاني: القراءات من الواحد إلى المتعدّد، الاختلاف: مظاهره عوامله ونتائجه 159

مقدمة الباب الثاني 161

الفصل الأول: مظاهر اختلاف القراءات 165

الفصل الثاني: عوامل اختلاف القراءات 199

الفصل الثّالث: نتائج اختلاف القراءات 241

خاتمة الباب الثّاني 269

الباب الثالث: القراءات والعلوم الإسلاميّة 271

مقدّمة الباب الثالث 273

الفصل الأول: القراءات وعلوم القرآن 275

الفصل الثاني: القراءات والتّشريع أو تغيّر الأحكام باختلاف القراءة 311
الفصل الثالث: القراءات والفرق الإسلاميّة 349
خاتمة الباب الثّالث 389
الخاتمة 393
المصادر والمراجع 397
الفهرس 429

المُقَدِّمَة

ولّد اهتمام المسلمين القدامى بالنصّ القرآنيّ علوماً عديدة جُمِعَتْ في أزمنةٍ متفاوتةِ التأخُّر ضمن ما بات يُعرف، بداية من القرن الثّالث للهجرة، **بعلوم القرآن**[1]؛ فكانت المصنّفات فيها مختلفة من حيث نظرتها إلى تلك العلوم تصوّراً، وعدداً، وترتيباً، وأنواعاً...إلخ. وعلى الرغم من أهمّية هذه العلوم، عَدُّوها من العلوم الثواني، أو، لنقل، حسب تصنيف الغزالي (ت 505هـ)، علوم القشر والصدَف، التي يمكن الاستغناء عنها[2]. وتكفي نظرة سريعة إلى مصنّفات العلوم لأن يكتشف الباحث حجم التهميش، الذي تعاملت به المنظومة المعرفيّة المنتجة لتلك التصنيفات. وهي نظرة لا تعكس الجانب العملي من اهتمام القدامى أنفسهم بهذا العلم، من حيث كثرة المؤلّفات، التي صنّفوها في هذا المجال؛ بل من حيث القضايا الشائكة،

---

(1) انظر إلى المؤلفات في علوم القرآن، التي نسبها أبو الفرج النديم (ت 384هـ)، في كتاب (الفهرست)، (دار المعرفة، بيروت، 1978م) إلى مؤلِّفين ينتمي بعضهم إلى القرن الثالث للهجرة. ولم يصلنا من هذه المؤلفات شيء إلى اليوم. وأقدم ما هو متداول اليوم كتاب ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت 597هـ)، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تحقيق حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1987م.

(2) الغزالي، أبو حامد، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3، 1990م، ص37.

التي أثارها المهتمّون بالنصّ القرآني عموماً، وبالمصحف الإمام خصوصاً، سواء كانوا من المؤمنين به أم من المشكّكين في صحّة نقله.

وعلى الرغم من أنّ هذا الاهتمام كان متزايداً فإنّه لم يخلُ من الارتباك والقصور في وضع تمثّل حقيقيّ وواضح المعالم لنقل القراءات من الممارسة الشفويّة إلى التدوين، ومن تقييد الاختلاف فيها إلى التنظير، الذي يسمح بتصنيفها ضمن علوم القرآن. فقد أسهم العديد من آراء علماء القرآن في تشتيت هذا العلم من خلال تجزئته إلى جملة من المباحث سيتبيّن لنا، لاحقاً، أنّها من صميم القراءات؛ لذلك بقيت العلوم الإسلاميّة الأخرى تتغذّى منه، وتنهل من معينه، دون أن تعترف به علماً إلّا في وقت متأخّر؛ أي عندما قطع أشواطاً كبيرة من التطوّر، فلا غرابة إذا قلنا إنّ عدداً من مصطلحاته قد وُلِدَ واستعْمِلَ، وانتهت صلاحيّته الإجرائية، وعلم القراءات لم يولد بعد.

وعلاوةً على هذا الوضع، إنّ الناظر في المؤلّفات الحديثة والمعاصرة لا يسعه الظفر بمؤلَّف منها قد حاول صاحبه أن يُخضع هذا العلم لدراسة أكاديميّة ترقى إلى الاستجابة لمعالجة الإشكاليّات، التي بقيت عالقةً منذ أن نجز العلم وأغلق باب تطويره في القرن التاسع للهجرة، مثله مثل أغلب علوم القرآن الأخرى، ولعلّ المتأمّل في محتوى تلك الدّراسات بإمكانه أن يطّلع على حجم الإشكاليّات، التي أضافتها إلى القديم منها.

إنّ المؤلّفات الحديثة والمعاصرة في القراءات، سواء ما أنتجه المسلمون أو المستشرقون، يمكن تصنيفها إلى صنفين حسب محتواها: صنف طرق موضوع القراءات طرقاً مباشراً، وصنفٌ تطرّق إليها تطرّقاً جانبيّاً في سياق معالجته موضوعاً آخر كانت للقراءات صلة به. وتجدر الإشارة، هنا، إلى أنّ جلّ كتابات المستشرقين اندرجت ضمن الصنف الثاني إذا استثنينا المقالات الوارد أغلبُها في دوائر المعارف المتخصّصة، والتي كان غرضها التعريف بالقراءات، أو بالقرّاء السّبعة. بينما اختصّ المسلمون بدراسة القراءات علماً

من علوم القرآن. وبين هذا الصّنف وذاك تراوحت نتائج تلك الأبحاث بين الجدّة والتقليد، وبين المنهج الذي حاول أن يكون علميّاً والمنهج المنحاز، الذي كشف، منذ أوّل وهلة، عن الإيديولوجيا التي تقبع خلف بحثه في هذا المجال.

وإذا كان بسّام الجمل قد خصّص في أطروحته (**أسباب النّزول علماً من علوم القرآن**) فصلاً من الباب الأوّل لعرض الكيفيّة، التي حضر بها علم أسباب النزول في الدراسات الحديثة، فقسّم تلك الدراسات إلى قسمين:

• **قسم الدراسات العربيّة الحديثة**، فبيّن أنّه سيطر عليها موقفان: موقف تمجيديّ لم يُضِفْ إلى هذا العلم شيئاً غير التّكرار والاجترار، وآخر نقديّ كانت آراؤه بمثابة تمهيد الطريق لخوض غمار البحث في أسباب النّزول.

• **وقسم الدراسات الاستشراقيّة**، التي عرضها حسب المناهج التي تعاملت بها مع أسباب النزول من منهج وضعيّ تلاه منهج فيلولوجيّ[1].

فإنّه قد مهّد لنا الطريق لأنْ نسحب تقسيمه ذاك على القراءات، مع مراعاة التفاوت في طرقها من مؤلّف إلى آخر. ويعود هذا التفاوت إلى أهميّة علم القراءات الكميّ مقارنة بحجم أسباب النزول[2]. ومن ثمّة رأينا أن نحيل على تقييمه المفيد لتلك الدّراسات شرقيّها وغربيّها، ولاسيما ما يتّصل بما انتهت إليه مناهج الدّراسات الغربيّة، التي وظّفت مناهج البحث الحديثة المستقاة من العلوم الأخرى في دراسة الظّاهرة الدينيّة عموماً، وأن نعرض نماذج من تعامل تلك الدّراسات مع القراءات، ومدى حضور هذا العلم فيها دون اللّجوء إلى ذلك التصنيف الذي منعنا من اتّباعه أمران: يتعلّق أوّلهما

(1) الجمل، بسام، أسباب النزول، المركز الثقافي العربي، المؤسّسة العربية للتحديث الفكري، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص36-44.

(2) بيّن الجمل أنّ (90%) من آيات المصحف لم تتعلق بها أسباب نزول، المرجع السابق، ص443.

بإيماننا العميق بأنّ الإنتاج العلمي لا يمكن أن يكون إنتاج التكرار والاجترار. ويتّصل ثانيهما بتلك الدراسات على اختلاف توجّهاتها؛ إذ إنّها، كما سبق أن أشرنا، تشترك كلّها في صفتي الجدّة والتقليد.

ومن هذا المنطلق، ذهبنا إلى تصنيف تلك الدّراسات إلى صنفين: صنف لم يضف جديداً إلى علم القراءات[1]؛ بل إنّه مثّل عبئاً ثقيلاً على هذا العلم بما حواه من أخطاء منهجيّة ومعرفيّة. وصنف يمكن القول إنّه أثرى علم القراءات من خلال جدّة الطرح، أو تصويب بعض المفاهيم، التي دأب علماء القرآن على تدوينها واستعمالها في كلّ مصنّف، أو محاولة تقديم جديد حتّى وإن كان بعضها يفتقر إلى المنهج.

1- الصّنف الأوّل من الدّراسات:

من هذا الصنف ما سمّاه بسّام الجمل دراسات تمجيديّة صرفة، فهي لا تقدّم العلم بقدر ما تحاول مباركة كلام القدامى واختزاله وإنتاج المختصرات منه، فهي، إذاً، امتداد لقرون الرّكود الفكريّ التي عرفتها البلاد الإسلامية بُعَيْدَ القرن السّادس الهجريّ، دون إغفال العديد من الاستثناءات؛ بل إنّنا نرى أنّ لبعضها وظيفة أخرى غير التّمجيد، وهي تشويه تراث القراءات، من خلال وقوعها في الكثير من الأخطاء والمغالطات الاصطلاحية، التي كان القدامى أكثر تنبّهاً وأحرص ممّن خلفهم من المحدثين في التصدّي لها ومعالجتها بكلّ جرأة وشجاعة. ويكفي أن نعود إلى كتاب صبحي الصالح (**مباحث في علوم القرآن**) حتّى نراه يسرد أسماء القرّاء الأربعة عشر، فيقول:

---

(1) وهذا الأمر ليس حكراً على الدراسات التمجيدية؛ بل إنّه ينطبق، أيضاً، على بعض الدراسات الغربية. راجع:

Christopher Melcher and Asma Afsaruddin, Reciters of The Qur'ān, in: Encyclopedia of Coran, vol 4, Brill; Leiden-Boston- Köln, 2004, pp. 386-392.
Frederik Leemhuis, Readings of The Qur'ān, in: Encyclopedia of Coran, vol 4, Brill; Leiden-Boston- Köln, 2004, pp. 353-362.

إنّ القارئ الرّابع عشر هو أبو الفرج محمد بن أحمد الشنّبوذي المتوفى سنة (388هـ)[1]، والحقيقة أنّ هذا القارئ ليس إلا الرّاوي غير المباشر، الذي اختاره القدامى في الطور الرّابع من تاريخ القراءات كما سنبيّن لاحقاً، وفضّلوه من بين رواة كثر لتُنقَل عنه قراءة القارئ الرّابع عشر، الذي هو سليمان بن مهران المعروف بالأعمش المتوفّى سنة (148هـ)؛ أي أنّ القارئ الرابع عشر لا ينتمي إلى القرن الرابع الهجري؛ بل إنّ وجوده قد سبق وجود عدد من القرّاء العشرة، أو كان معاصراً لبعضهم. فقد قرأ العديد منهم عليه مثل طلحة بن مصرّف (ت 112هـ)، وتتلمذ في القراءات على يديه مثل حمزة ابن حبيب الزيات (ت 156هـ). ولعلّ الذي أوقع الصالح في هذا الخطأ نقله ذلك عن كتاب محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ) (**مناهل العرفان في علوم القرآن**)[2]، دون أن يعود إلى المصدر ليتأكّد من صحّة ما نقله عنه.

وقد رأى صبحي الصّالح، في كتابه المذكور، أنّ توجيه[3] القراءات الشاذّة لاستنباط غرائب التأويلات من بعض وجوهها: «**كان لوناً من التّرف العلمي، الذي شُغِف به علماء الإسلام خلال دراساتهم الواسعة المتشعّبة لكلّ ما يتعلّق بالقرآن (...) آنسوا في أنفسهم ميلاً لدراسة القراءات الشاذة وتوسيع آفاق البحث فقط**»[4]. وقد غاب عن صبحي الصّالح أنّ المصنّفات في القراءات الشاذّة لم تظهر إلا بداية من القرن الرّابع للهجرة؛ أي بعد

(1) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط24، 2000م، ص250.

(2) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، ج1، ص374.

(3) راجع: الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، ج1، ص10، ص239.

(4) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص253-254.

يندرج هذا الكتاب ضمن ما أصبح يُعرَف، في الدراسات المعاصرة، بـــ: الإسلاميّات التطبيقيّة، التي تهدف إلى أن تدرسَ النصوص التراثيّة عموماً، والنصوص المتعلّقة بالنصّ التأسيسيّ الأوّل على وجه الخصوص، دراسةً تسعى إلى أن تتّصف بالعلميّة القائمة على أهمّ ما توصّلت إليه العلوم الحديثة من مناهج تنير البحث، وتقرّبه إلى معقولية تاريخية نسعى، من خلالها، إلى تعقّل علمٍ من علوم القرآن تعقّلاً قائماً على محاور ثلاثة أساسية هي: القراءات علماً من علوم القرآن من حيث تاريخيّة النشأة والتأسيس، ومن حيث تاريخيّة الاختلاف ذي التجلّيات المتعدّدة، ومن حيث انعكاس ذلك كلّه على علوم القرآن الأخرى والتشريع.

إنّ تجليةَ هذه المحاور على النحو المطلوب لَكفيلةٌ بمساعدة الباحث عن الحقيقة في تلمّس إجاباتٍ ممكنةٍ لأسئلةٍ بقيت حارقةً على مرّ قرون من الزمن تنتظر منه طرحها من جديد؛ إذ ليس من حقّنا أن نصادر أسئلته المشروعة من قبيل: ما الفرق بين القرآن والقراءات؟ كيف ننزّل تلك القراءات القرآنية في التاريخ؟ كيف نعيد تشكيل قراءة معاصرة للاختلاف فيها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا ندّعي امتلاك أجوبةٍ مقنعةٍ عنها.

المنجي الأسود: باحث تونسي متخصص في اللغة العربية وآدابها وحضارتها

ISBN 978-614-8030-48-2

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع